المحاضرة الرابعة عشرة: حركة جمعية المسلمين والصحافة

تُعد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إحدى أهم الفاعلين في المشهد السياسي والثقافي بالجزائر خلال الحقبة الاستعمارية، حيث أدركت مبكراً القيمة الاستراتيجية للكلمة المكتوبة في تشكيل الرأي العام وتعبئة الشعب. فلم تكن مقاربتهم للعمل الإعلامي مجرد نقل معلومات بل كانت مشروعاً نهضوياً متكاملاً يهدف إلى استنهاض الوعي الجمعي ومقاومة سياسات التجهيل وطمس الهوية التي مارستها الإدارة الاستعمارية. وقد نجحت الجمعية عبر صحفها في خلق فضاء للنقاش الفكري والأدبي وصياغة خطاب وطني متماسك ساهم في الحفاظ على المرجعية الدينية واللغوية للشعب الجزائري مما مهد الطريق لحركة تحررية شاملة ومن هنا يمكننا طرح الإشكالية التالية: **إلى أي مدى كانت هذه الإسهامات الصحفية فعالة في مواجهة الأطروحات الاستعمارية؟ وكيف استطاعت صحافة الجمعية رغم كل القيود أن تبتكر آليات خطابية ولغوية مكنتها من التأثير العميق في الوعي الجمعي والتحول من منبر إصلاحي إلى أداة مركزية في صناعة الوعي السياسي والتمهيد لمرحلة النضال التحرري؟.**

شهدت الساحة الجزائرية إرهاصات إصلاحية مبكرة كرد فعل طبيعي على التحديات التي فرضها الاستعمار، وبرزت جهود فردية من قبل بعض المثقفين والشيوخ لبعث الروح الدينية واللغوية، إلا أن هذه المبادرات ظلت محدودة الأثر والنطاق .وفي هذا السياق يقدم المؤرخ **أبو القاسم سعد الله** رؤيته التحليلية مؤكداً "**أن الحركة الإصلاحية في الجزائر لم تكن قرينة الجمعية بل سابقة لظهورها، حيث ظهرت مبادرات إصلاحية من قبل بعض المثقفين غير أنها لم تلق صدى واسعاً إلى أن جسدت فكرة الإصلاح في مشروع جماعي تمثل في جمعية العلماء المسلمين**" [1]، فقد شكل تأسيس الجمعية الإطار التنظيمي الذي وحد هذه الجهود المتفرقة ومنحها زخماً جماعياً، ورؤية منهجية واضحة (الإسلام ديننا، العربية لغتنا، والجزائر وطننا) لمواجهة سياسة الإدماج والفرنسة مما جعلها القوة الدافعة والمنظمة للحفاظ على الهوية الوطنية الجزائرية .

1. تأسيس جمعية العلماء المسلمين:

كان تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين نتيجة حتمية لتطور الوعي الإصلاحي الذي شهدته الجزائر، ولعبت التجمعات الثقافية دوراً محورياً في تمهيد الطريق لهذا الكيان الجامع؛ ففي

---

[1] أبو القاسم سعد الله، أفكار جامحة، م.و.ل، الجزائر، 1988، ص 89.

سنة 1927م تأسس **نادي الترقي** بالعاصمة كنواة ثقافية وتثقيفية استقطبت شباب النخبة المسلمة، وعقدت فيه محاضرات وجلسات إرشادية استفاد منها رواد الإصلاح أمثال الشيخ **الطيب العقبي** . ولم يقتصر دور النادي على التوعية فقط بل كان له شرف احتضان اللقاءات التمهيدية الأولى التي بلورت فكرة التأسيس الرسمي للجمعية. ونظراً لتحدي تشتت العلماء واختلاف توجهاتهم الفكرية والمناطقية، برز الدور الحاسم **لجريدة "الشهاب** "لصاحبها الشيخ **عبد الحميد بن باديس**، التي تولت حملة إعلامية واسعة لدعوة الشيوخ والمثقفين إلى توحيد الصف وتجسيد المشروع الجماعي، مؤكدة على ضرورة تجاوز الخلافات من أجل مصلحة عليا تتمثل في الحفاظ على الهوية الوطنية الجزائرية[2].

جسد دور الصحافة الإصلاحية في كونها المحرك الأساسي لجمع شتات النخبة العلمية، حيث وظف رواد النهضة منابرهم الإعلامية لإطلاق دعوات صريحة للوحدة والتنظيم، وهو ما برز بوضوح في النداء الذي اصدره ابن باديس سنة 1925م مخاطبا علماء الأمة الجزائرية "**أيها السادة الأدباء المؤدين للإصلاح المتواجدين في مناطق متفرقة ومختلفة في الجزائر، هلموا واتحدوا وتعاونوا وأسسوا حزباً وثيقاً من أجل تنقية الدين من الشوائب والبدع التي لحقت به من السذج والجاهلين، وإنا نتمنى أن يقبل كل شخص هذا الاقتراح وأن يلقى نداء العلماء ومؤيدي الإصلاح، وإن حصلنا على شهادة استحسان وقبوله من عدد كافٍ سنشرع في تكوين الحزب والله الموفق**" [3]وقد شكل هذا النداء المنشور حجر الزاوية في تحويل العمل الإصلاحي من مبادرات فردية معزولة إلى كيان مؤسساتي مهيكل، ممهداً بذلك الطريق لتأسيس جمعية العلماء المسلمين التي استجابت لتطلعات النخبة في إيجاد مرجعية موحدة تحفظ مقومات الهوية الوطنية وتتصدى لمشاريع الاستعمار الفكرية والدينية.

تجسد الميلاد الرسمي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الخامس من مايو سنة 1931م، حيث احتضن **نادي الترقي** بالعاصمة هذا الحدث التاريخي الذي جمع قرابة اثنين وسبعين عالماً وطالباً من مختلف ربوع القطر الجزائري، تلبيةً لطموح جماعي ظل يراود النخبة الإصلاحية لسنوات

---

[2] ينظر: ليلى يحياوي، الدور الريادي لصحافة جمعية العلماء المسلمين في نشر الوعي الوطني في المجتمع الجزائري، مجلة الإعلام والمجتمع، مج02، ع02، ص32/ نقلا عن: عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى، ص 65.

[3] عبد الرحمان ناتش، السياسة الإصلاحية عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية، مج 09، ع 02، 2022، ص 218.

طويلة. وفي اليوم الموالي للتأسيس، عقدت الهيئة الإدارية جلستها الأولى برئاسة الإمام **عبد الحميد بن باديس** وبحضور ثلة من الأعلام كالبشير الإبراهيمي والطيب العقبي، لتضع الخطوط العريضة لرسالتها المتمثلة في استعادة المرجعية الإسلامية الصحيحة وإحياء اللغة العربية؛ وقد انتزع هذا الكيان اعترافاً قانونياً سمح له بممارسة نشاطه التعليمي والتوعوي، مما مكّن الجمعية من بسط شبكة واسعة من المدارس والمساجد التي أصبحت قلاعاً للمقاومة الثقافية والتربوية في وجه السياسات الاستعمارية [4].

أما عن أبرز المبادئ والأهداف التي ارتكزت عليها جمعية العلماء المسلمين تمثلت أساسا في التركيز على التعليم والوعي كسبيل وحيد للتحرر، **ويمكن تلخيص مبادئ الجمعية في الشعار الذي ينسب إلى الإمام عبد الحميد بن باديس: "الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا"** [5] وهو شعار يمثل مثلث الهوية الذي سعى ابن باديس ورفاقه من خلاله إلى إعادة بناء الفرد الجزائري وتجريده من قيود الجهل والجمود. فمن الناحية الأكاديمية، لم يكن هذا الشعار مجرد صيحة حماسية، بل كان ميثاقاً إيديولوجياً حدد معالم الأمة عبر استرجاع نقاء العقيدة، وإحياء لغة الضاد كأداة للتفكير والتعبير، وتكريس الانتماء الجغرافي والسياسي للجزائر ككيان مستقل ومتميز. وبفضل شبكة مدارسها الحرة وصحافتها التنويرية، نجحت الجمعية في خلق جيلٍ متشبع بروح المقاومة الثقافية، مما مهّد الطريق لبلورة الوعي الوطني الذي أفضى لاحقاً إلى الكفاح المسلح لتحرير الأرض.

2. أبرز صحف جمعية العلماء المسلمين

تُعد الصحافة الإصلاحية التي تبنّتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من أقوى الأسلحة الفكرية التي واجهت بها المشروع الاستعماري، حيث كانت المنابر الإعلامية للجمعية وسيلةً لبعث الهوية الوطنية ونشر الوعي الديني والسياسي. وقد حرص قادة النهضة، وعلى رأسهم الإمام عبد الحميد بن باديس، على تأسيس سلسلة من الصحف والمجلات لتكون لسان حال الأمة ومعبّرة عن مقوماتها الأساسية، وفي مقدمة هذه المطبوعات التي تركت أثراً خالداً في وجدان الجزائريين تأتي:

1.2 المنتقد: هي صحيفة أسبوعية اصدرها عبد الحميد ابن باديس سنة 1925م، عاشت ما يقارب 18 اسبوعا بعد أن قررت سلطة الإحتلال تعطيلها لما كانت تخشى أن يلحقها أذى بعد أن تلفت الجزائريين المسلمين إلى حقيقة وضعيتهم بين الأمم: بأنهم أمة لها قوميتها ولغتها ودينها

---

[4] ينظر: محمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام البشير الإبراهيمي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 71.

[5] تركي رابح، الشيخ ابن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1981، ص92.

وتاريخها، أما عن أهدافها فقد وضحها الشيخ ابن باديس فهي صحيفة أنشئت من أجل بعث الأمة الجزائرية وتذكيرها بماضيها الأصيل، ومجدها الاثيل ولغتها المشرقة الساحرة، ودينها الإسلامي الحنيف، ويضاف إلى ذلك أن ابن باديس كان يريد نقد الأوضاع الراهنة في البلاد، فيما يفهم من لفظ "المنتقد" نفسه، فاسم الجريدة غذن مقصود كل القصد.[6]

2.2 الشهاب: تعد جريدة "الشهاب" التي أسسها الشيخ عبد الحميد بن باديس في 12 نوفمبر 1925 بمدينة قسنطينة، المنبر الإعلامي والمرجع الرسمي للحركة الإصلاحية في الجزائر؛ وقد مرت الجريدة بمراحل تطويرية حيث بدأت كصحيفة أسبوعية ثم نصف شهرية (1925-1927)، لتتحول لاحقاً إلى "مجلة الشهاب" الشهرية بدءاً من فبراير 1929 لتجاوز أزمات مالية كادت تعصف بها، واتسم محتواها بالشمولية الأكاديمية والثقافية عبر تبويب تضمن الافتتاحيات، المقالات الفكرية، الفتاوى الشرعية، الأخبار، وعرض المطبوعات العربية والأجنبية، كما شكلت جسراً للتواصل الحضاري باستقطابها كتاباً وشعراء من المشرق والمغرب العربي (مصر، لبنان، تونس، والمغرب)، علماً أن ابن باديس قد تولى في سنواتها الأولى مسؤولية التحرير والتصميم والتوزيع بجهد شخصي دؤوب؛ واستمرت في العطاء المعرفي حتى توقفت قسراً في سبتمبر 1939 بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية والضغوط الاستعمارية[7].

تُعتبر مجلة "الشهاب" ركيزة أساسية في تاريخ الصحافة والإصلاح في الجزائر، إذ لم تكن مجرد مطبوعة دورية، بل منبراً فكرياً وثقافياً حظي بتقدير كبير في الأوساط النخبوية والشعبية على حدٍ سواء، حتى قيل فيها: **"لم ير الناس في الجزائر مجلة أو صحيفة يومية أو أسبوعية، مما غبر ومضى من المجلات والصحف الكثيرة، استاثرت بقلوب المفكرين الجزائريين، واشتد حرصهم على اقتنائها أو الإلمام بها مثل مجلة الشهاب"** [8]هذا الاهتمام البالغ يعكس الدور المحوري الذي لعبته في تشكيل الوعي الوطني والهوية الجزائرية، حيث كانت بمثابة المرجع الأول للمدرسة الإصلاحية، مقدمةً محتوى فكرياً رصيناً أسهم في التعبئة الفكرية والثقافية للشعب الجزائري في مواجهة المشروع الاستعماري الفرنسي.

---

[6] عبد الملك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (1925-1954)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت، ص 90.

[7] ينظر: رشيد مياد، إسهامات جريدة الشهاب في فضح مخططات الإدارة الإستعمارية ونشر الوعي التحرري، مجلة دراسات وأبحاث – المجلة العربية في العلوم الإنسانية-، مج 12، ع01، 2020ن ص 1081.

[8] عبد الملك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر '1925- 1954)، ص 98.

3.2 البصائر: تُعد جريدة "البصائر" الصادرة عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إحدى أبرز المنارات الفكرية وأكثر الصحف العربية تأثيراً وانتشاراً في الجزائر، متفردة بوفرة مادتها وتنوعها المعرفي الذي شمل الجوانب الدينية والاجتماعية والسياسية والأدبية. وقد اتسمت "البصائر" بطول عمرها الصحفي واستمراريتها عبر سلسلتين زمنيتين؛ حيث تمثلت الأولى في الفترة الممتدة ما بين **1935و1939م**، بينما جاءت الثانية لتغطي المرحلة مابين **1947 و1956م**، محققة بذلك غزارة في الإنتاج الصحفي عبر مئات الأعداد التي وصلت إلى مستويات قياسية. كما حافظت الجريدة طوال مسيرتها على هيئتها المعتادة بحجم متوسط يضم عدة صفحات كانت تُملأ عن آخرها بمقالات عميقة ورصينة، مما حولها إلى سجل حافل ومرجع أساسي للباحثين في تاريخ الحركة الإصلاحية والوطنية الجزائرية، ومثّلت بألوانها الفكرية المتعددة صوتاً جامعاً للهوية الوطنية في مواجهة التحديات الاستعمارية[9].

كانت "البصائر" لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الأقوى صدىً. ومع ذلك، يغيب عن الكثيرين أن مسيرة هذه الصحيفة لم تبدأ من فراغ، بل كانت تتويجاً لمسار طويل من الصراع مع الإدارة الاستعمارية؛ فكما يُشار دائماً في التأريخ لهذه الحقبة" **:ليست هذه الصحيفة كالمنتقد والشهاب ملكاً لجمعية العلماء التي تأسست سنة 1931م، ولم تظهر البصائر حتى كانت صحف ثلاث أخرى سبقتها وهن: السنة المحمدية والشريعة والصراط السوي، وكانت كل منهن تصادر من قبل الاحتلال الفرنسي فكانت الجمعية تضطر إلى إصدار صحيفة أخرى سريعاً وهلم جرا"** [10]وهذا يعكس بوضوح سياسة "المقاومة بالقلم" التي انتهجتها الجمعية، حيث لم يثنِ التضييق والمنع هؤلاء العلماء عن مواصلة نشر الوعي، بل جعلهم أكثر إصراراً على إيجاد البدائل الإعلامية لتصل رسالتهم إلى أعماق المجتمع الجزائري

بناءً على ما تم تناوله يمكننا القول إن صحافة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لم تكن مجرد وسيلة لنقل الخبر، بل كانت مشروعاً نهضوياً متكاملاً وجبهة نضالية صلبة في وجه المحاولات الاستعمارية لطمس الهوية الوطنية. فمن "المنتقد" و"الشهاب" إلى "البصائر" بسلسلتيها، استطاع

---

[9] ينظر: محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1845م إلى 1945، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 2007م، ص 279.

[10] عبد الملك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (1925-1954)، ص 101.

الرعيل الأول من العلماء أن يؤسسوا لمدرسة صحفية رصينة زاوجت بين العمق الفكري والديني وبين الالتزام بالقضايا السياسية والاجتماعية. إن هذا الإرث الإعلامي الذي صمد أمام المصادرة والتضييق التاريخي، يظل اليوم شاهداً على عبقرية الحركة الإصلاحية في تسخير الكلمة كأداة للتحرير والتنوير، ومرجعاً لا غنى عنه لفهم الجذور الفكرية للثورة الجزائرية الكبرى ولنهضة الإنسان الجزائري المعاصر.